المحاضرة السادسة: أبو تمام ومسألة التأثير اليوناني

عناصر المحاضرة: تمهيد/ أبو تمام بين التجديد والتأغرق

تمهيد:

أسهب الباحث المغربي "عباس أرحيلة " في إحدى دراساته بالحديث عن الجدل الدائر حول الشاعر الطائي أبي تمام، فقد حاول فريق إثبات يونانيته ونفي أصله العربي الطائي وذلك بالبحث في نسبه، كما فعل المستشرف الانجليزي مرجليوث(1858-1940) هذا الذي اعتمد على خبر أورده الصولي في "أخبار أبي تمام" مؤاده أن أبا تمام اسمه "حبيب بن ثدوس" النصراني فغير اسمه فأصبح أوسا واختلفت قراءات اللقب التي قيل أن أبا تمام كان يحمله، فمن المستشرقين من قال إنه "تدوس" اختصارا عن تيوديسيوس كما قرأه المستشرف الألماني "هيليموترتر،وتبع هؤلاء المستشرقين الناقد الأديب العربي الدكتور طه حسين، فادعى أن أبا تمام يوناني الأصل، وذلك لاختلافه عن سابقيه ومعاصريه، في تصوره للشعر ومباينة شعره للشعر العربي

أبو تمام بين التجديد والتأغرق

وعموما فإن ربط التجديد في الأدب العربي بمسألة التأثير اليوناني، دعوى أشاعها الدكتور طه حسين وتبعه فيها كثير من الباحثين وهي دعوة ذات نزوع استشراقي بين، أريد بها التشكيك في أصالة الأدب العربي وتهيء النفوس العربية لتقبل الحضارة الغربية الحديثة والذوبان فيها لقد كان لأبي تمام أثر واضح في مسار النقد العربي قديما وحديثا وحرك النقد فقامت المعارك أدبية ضارية بين منتصر له وناقم عليه.

فعبقرية أبي تمام جعلته يسير بالشعر العربي نحو التجديد فأتى بصور فلسفية في شعره، وحكم غاية في الأهمية ولكن من النقاد من رفض هذا وعلى رأسهم الآمدي ، الذي يعتبر من ينظم على هذا المنوال فيلسوفا أو حكيما وليس بشاعر.وتعد ظاهرة الغموض التي كانت تلف شعر أبي تمام هي التي حركت عليه معظم سهام النقد خصوصا من قبل اللغويين الذين

كانوا يبعثون عن اللفظ السهل والمتداول لدى الجمهور بدل اللفظ المعقد والعويص لذا نرى تلميذ بن الاعرابي المدعي أبا سعيد يسأل أبا تمام لمذا تقول ما لا يفهم ؟ فيجيبه أبوتمام، ولماذا لا تفهم ما يقال؟

فبقيت الاشكالية عالقة، إذ طرح السؤال، هل النقص يمكن في الجمهور الذي لا يفهم إلا ما هو على مذاهب العرب؟ أم أن النقص في المبدع الذي اطلع على ثقافات غيره فوظفها في إبداعه الأدبي.

ولما كان ذلك كذلك أعرض الكثير عن شعر أبي تمام لا لشيء إلا لخروجه عن ما هو مألوف لدى العرب ولغموضه وبعده عن الحق، حسب ما تحكي رواية وردت في الموشح، أن محمد بن داود قال:"**سمعت عبيد الله بن سليمان يستغث شعر أبي تمام ويكرهه فقلت له: أنت أحق الناس بألا تقول فيه هذا لأنه مادحك ومادح أهلك، فقال لا يشبه الجق في شيء**" فحمل هؤلاء أحكاما مسبقة على ابي تمام، فشعره مرفوض عندهم وإن قال ما قال، ولا أدل على هذه المسألة ما رواه أبو الحسن الطوسي الذي كان معجبا بشعر أبي تمام فأرسله أبوه إلى ابن الاعرابي ليقرأ عليه شعرا، فقرأ عليه أرجوزة لأبي تمام على انها لأحد شعراء هذيل فلما اتمها أعجب بها ابن الاعرابي فاستحسنها، فلما أخبره أنها لأبي تمام قال : خرق خرق.

ورغم كل هذا فإن شعر أبي تمام قد يبقى شعرا مجددا خرج على طريقة العرب في التصوير والمعنى وغير ذلك، وهذا ليس سمة من سمات العيب وإلا كيف نفسر أثر هذا الشعر في مجموعة من الشعراء الآخرين.وعلى رأسهم البحتري الذي اعترف هو نفسه بأنه تابع له ([22]) أي لأبي تمام.

أما مسألة الأخذ عند ابي تمام، سواء الأخذ عن اليونان أو عن سابقيه من العرب أنفسهم فهي مسألة عادية ولا خير فيها لأن التأثير والتأثر تبقى قضية حاضرة لدى كل الأمم في مختلف المجالات، ناهيك عن مجال الشعر الذي تحكمه النزعة الجمالية والذوق الفني، فإذا تذوق شاعر معنى فنيا في إنتاج أدبي من أدب المعمور، فلا ضير أن ينظم على ما يوازيه أو يماثله بل

أن يأخذ ذات المعنى ويكسوه حلة بهية جديدة من اللفظ ولا شك أن هذا ما فعله أبو تمام حين أخذ معنى للنظار بن هاشم الذي قال:

يعف المرء ما استحيا ويبقى نبات العود ما بقي اللحاء
وما في أن يعيش المرء خير إذا ما المرء زايله الحياء

أخذ أبو تمام معنى البيتين وأكثر لفظهما فقال:

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء